

## قمة دلتا النيل

وتغيير موضعها منذ أقدم العصور البشرية حتى الوقت الحاضر

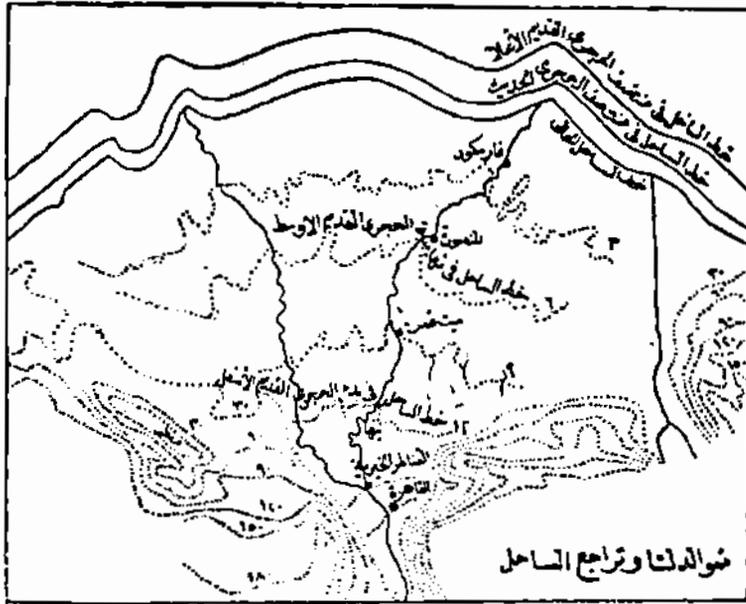
للدكتور ابراهيم احمد رزقانه

تكوين الدلتا:

لم يأخذ سطح مصر في الظهور فوق صفحة الماء الا في أواخر الزمن الجيولوجي الثاني واستمرت حركة الارتفاع هذه خلال الزمن الثالث في عصري الأيوسين والأوليغوسين حتى أصبح ساحلها الشمالي في العصر الاخير يمتد في المنطقة المحصورة بين الفيوم والقاهرة. ولم يكن نهر النيل بشكله الحالي قد تكون بعد ولكن كان هناك نهر كبير يجرى نحو الشمال حتى يلتقى بالساحل الأوليغوسيني شمال الفيوم مباشرة وما زالت آثار مجرى هذا النهر واضحة الى الغرب من مجرى النيل الحالي حيث يطلق عليه الجيولوجيون<sup>(١)</sup> اسم «جد النيل» أو «بحر بلاماء» (انظر شكل ١) فاذا انتقلنا الى عصر اليوسين نجد أن توزيع تكويناته يدل على انه في القسم الأول من هذا العصر انخفض شمال مصر بحيث تراجع خط الساحل نحو الجنوب عما كان عليه في العصر السابق، ولكن في القسم الاخير من نفس العصر تنعكس الحركة وترتفع الارض ويوجد لأول مرة نهر النيل الحالي الذي أخذ في التقدم شمالا — كلما زاد ارتفاع الارض وتقهقر البحر — ناحتا واديه العظيم خلال صنخور العصور السابغة.

فلما جاء عصر البليوسين ارتفع مستوى البحر من جديد حتى وصل مستواه الى ١٨٠ فوق مستواه الحالي وتراجع خط الساحل تبعا لذلك نحو الجنوب حتى

(1) J. De Morgan, *Recherches sur Les Origines de l'Egypte. L'Age de La Pierre et Les Métaux.* Fig. 3. Paris 1896.



شكل (٢) ■

وصل الى عرض القاهرة وتحول جزء كبير من وادي النيل الى خليج بحري (١) غير أن هذا الخليج لم يلبث أن امتلأ بالحصاء والرمال التي جلبتها المجاري المائية المنحدرة من الهضاب المحيطة بهذا الوادي ، ثم تجدد ساحل البحر يتقدم نحو الشمال نتيجة لارتفاع الارض في القسم الاخير من هذا العصر ، وكلما انحسر البحر عن منطقة تقدم النيل فيها بواديه وأخذ يلقى في البحر كميات كبيرة من الحصى والرمال انتشرت علي شكل دلتا.

ولما بدأ عصر البليستوسين (منذ نصف مليون سنة تقريبا) كان مستوى البحر المستمر في الانخفاض — مازال أعلا من مستوى الارض بمقدار مائة متر عنه في الوقت الحاضر وكانت أرض الدلتا مازالت مغمورة بمياهه ولكنها أخذت في

(1) W. F. Hume and O. H. Little, *Raised Beaches and Terraces of Egypt* in Report of the Commission of Pliocene and Pleistocene Terraces, Union Geographique Internationale p. 11, 1923.

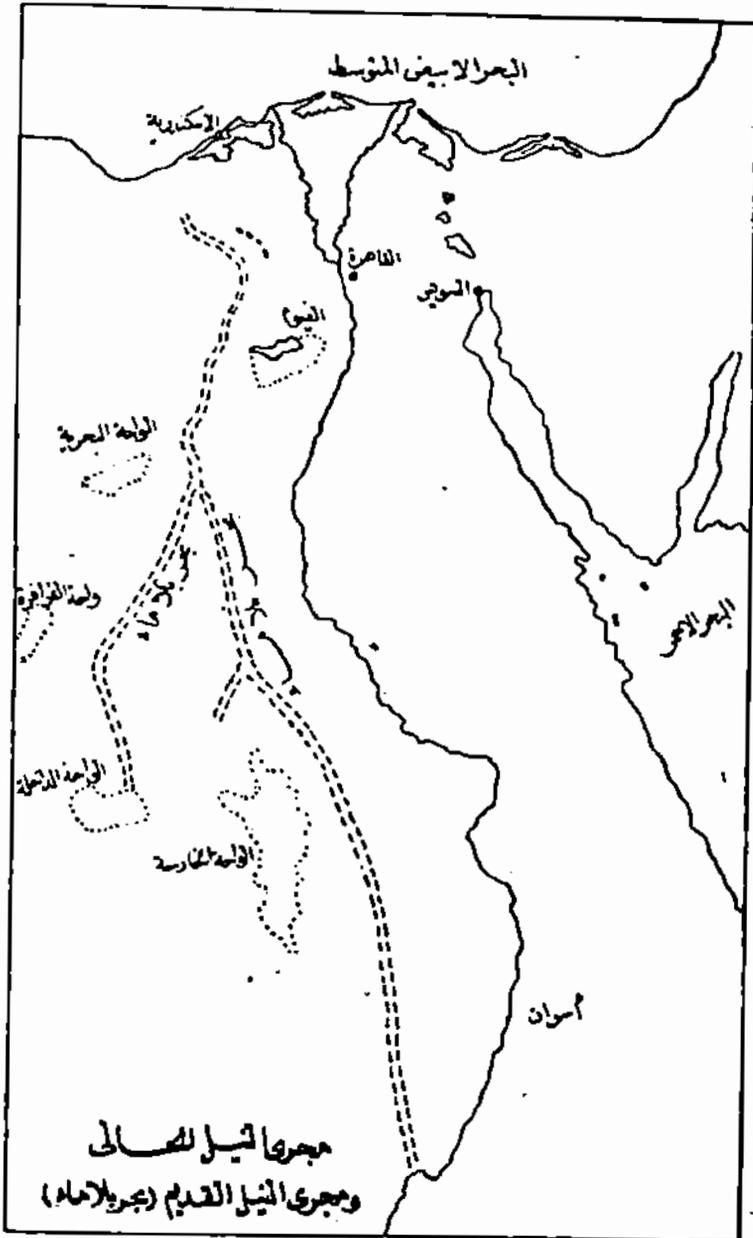
الظهور فوق صفحة الماء شيئا فشيئا بسبب استمرار انخفاض البحر وبفضل ما كان يليه النيل فيه من رواسب الحصباء والرمال وبدأ نموها من الجنوب بطبيعة الحال حتى كانت في أواخر هذا العصر قد كسبت على حساب البحر تسعين كيلو مترا شمال عرض القاهرة . ويقابل هذه الفترة من العصور البشرية العصر الحجري القديم الاوسط ( منذ ٤٠ ألف سنة تقريبا )

فإذا ما انتقلنا الى العصر الجيولوجي الحديث وهو الذي يكون العشرين الف سنة الاخيرة منذ نهاية البليستوسين حتى الوقت الحاضر نجد أن انخفاض البحر مازال مستمرا حتى وصل أقصى انخفاضه في العصر الحجري القديم الاعلى (سنة ١٠٠٠٠٠ ق. م. تقريبا) فكان مستواه على عمق ٤٣ مترا تحت مستوى البحر الحالي ونتج عن ذلك تمام تكوين الدلتا بشكلها الحالي بل وتقدم حدها الشمالي بمقدار ١١ كم شمال الحد الحالي وبذلك كانت الاراضي الفارقة حاليا على طول ساحل مصر الشمالي عبارة عن أرض جافة صالحة لسكنى الانسان . ثم بعد هذا التاريخ تنعكس الحركة ويأخذ مستوى البحر في الارتفاع حتى أصبح في منتصف العصر الحجري الحديث (سنة ٦٠٠٠٠ ق. م. تقريبا) على مستوى ثمانية أمتار فقط تحت المستوى الحالي وبذلك أصبح حد الدلتا الشمالي على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا شمال الساحل الحالي (١). ثم باستمرار حركة ارتفاع البحر اتخذت الساحل موضعه الحالي (انظر شكلي ٣٤٢)

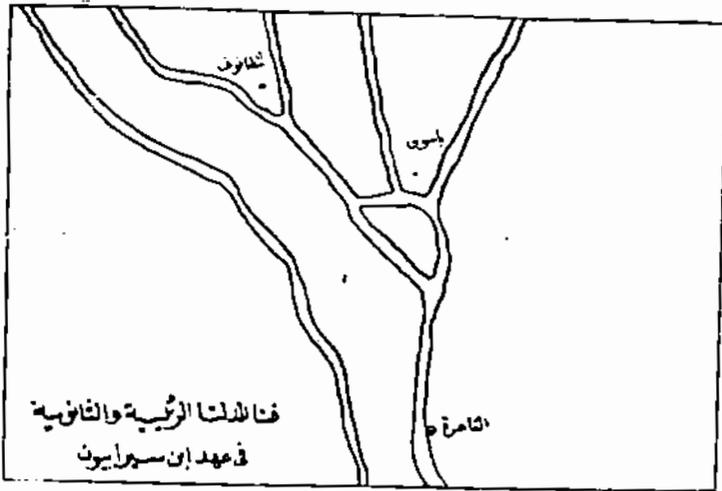
ويرى الامير عمر طوسون (٢) أن تراجع ساحل البحر — أو نمو الدلتا بمعنى آخر — تم على المراحل الآتية :

(1) John Ball, *Contributions to the Geography of Egypt*, Cairo 1939 pp. 31, 32, 39 and plate 8.

(2) Omar Tousoun, *Mémoire sur L'Histoire du Nil*, t. 3 1925 planche 22.



شكل (١) ■



شكل (٤)

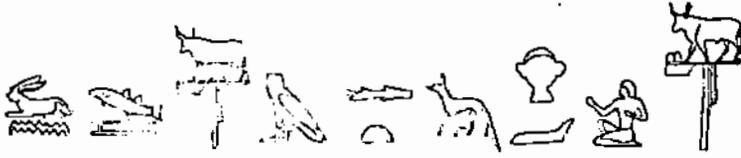
الساحل الذي ارتفاعه ١٨ مترا (خط عرض القاهرة تقريبا) تكون سنة ١٩٣٥ ق.م.

»	٩٦٢٥	»	»	القناطر الخيرية	»	»	١٥	»
»	٧٣١٥	»	»	بها	»	»	١٢	»
»	٥٠٠٥	»	»	ميت غمر	»	»	٩	»
»	٣٦٩٥	»	»	المنصورة	»	»	٦	»
»	٣٨٥	»	»	فارسكرور	»	»	٣	»

ولكن هذه الارقام لا تتفق مع الوثائق والمراجع التاريخية القديمة فنصوص

مقبرة إمتن  التي ترجع لواخر الاسرة الفرعونية الثالثة  
أو أوائل الاسرة الرابعة (حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م.) تذكر مديرية خويت في النص  
الآتي (١): أون عنج مر خويت إم يخت ساب بحر سقر خويت

(1) Depsins (C.R.), *Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien*, Zweite Abtheilung, Denkmäler des Alten Reichs, Blatt S.



ويذكر هذا النص أن المدعو إمتن كان مدير لمديرية خويت ولما كان موقع خويس عاصمة هذه المديرية كان في سحا بالقرب من كفر الشيخ أى أنه كان يشغل منطقة محصورة بين الخطين الرابع والخامس من خطوط الارتفاعات المتساوية فان هذا يدل علي أن هذه المنطقة كانت من اليابس في ذلك التاريخ ولم تكن مغمورة بالماء كما يفرض الجدول السابق.

كما أن المؤرخ هيرودوت الذى مات سنة ٤٢٥ ق.م. يتحدثنا عن المدن القديمة بونو وسابيس وتانيس التي ما كانت لتوجد لو صحت الأرقام الواردة بالجدول لأن أما كتبها بمقتضاه لم تكن قد تحولت الى يابس بعد . فالوجود التاريخي لهذه المدن دليل قطعى علي عدم صحة هذه الأرقام . وكذلك قدر هيرودوت (١) المسافة بين هليوبوليس وساحل البحر بألف وخمسمائة ستاد ( ٢٨٧ كم ) وهو رقم يزيد علي المسافة الحالية بين القاهرة وساحل البحر الأبيض المتوسط علي طول فرع دمياط أو فرع رشيد فهما كان الاتجاه الذى قام فيه هيرودوت مسافته فان الرقم الذى ذكره يدل علي أن ساحل البحر في عهده لم يكن جنوب خط الساحل الحالي .

ومن هذه الأدلة مجتمعة يمكن القول أن الدلتا قد تم تكوينها قبل العصر التاريخي وأنه لم تحدث خلال هذا العصر تغيرات ملحوظة في موضع خط الساحل الشمالي .

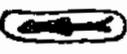
(1) Herodotus · II, 7.

## تطور قمة الدلتا:

إذا كانت الأدلة الجيولوجية والآثرية والتاريخية تشير إلى أن حدود الدلتا الشمالية قد تعرضت لعدة ذبذبات قبل العصر التاريخي وأنها لم تغير موضعها خلال هذا العصر فإن الأمر ليس كذلك فيما يختص بقمة الدلتا ، إذ تشير نفس الأدلة إلى أنها في تغير مستمر منذ تكونها حتى الوقت الحاضر .

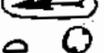
و نحن إذا نظرنا إلى خريطة طبيعية للمنطقة المحصورة بين حلوان والقاهرة وجدنا أن الهضبة الشرقية تحتضن النيل في هذه المنطقة وتشرف عليه بواسطة سلسلة من التلال هي من الجنوب للشمال جبل حوف وجبل طره وجبل المقطم فلم تسمح له هذه المرتفعات بتكوين سهل فيضى كالم تسمح له بالفرع في الاتجاه الشرقى على طول امتداده بين حلوان ومصر العتيقة ثم بمجرد أن تبتعد عنه الهضبة في هذا المكان الأخير نجد الهضبة الغربية بعيدة عن النهر ويزداد بعدها عن كلاً اتجاهنا شمالاً ولهذا استطاع أن يكون سهلاً فيضياً متسعاً ومن الجائز أنه استطاع أن يمدله ذراعاً في الاتجاه الشمالى الغربى يخرج منه عند منقيس . وعلى أي فان هذه المنطقة — من الوجهة الطبيعية — أنسب مكان لتكون قمة الدلتا الأولى إذ تشرف التلال عليها من الشرق والغرب ثم تأخذ التلال في الابتعاد عن النهر كلما سراً شمالاً حتى يتحول المنظر الطبيعي إلى سهول متسعة أشبه شيء بالسوايات التي تؤدي إلى ميدان فسيح .

ومع أنه ليس لدينا — من الوجهة الآثرية — نصوص صريحة من أوائل العصر الفرعونى تعين لنا موضع قمة الدلتا في تلك الفترة إلا أننا نستطيع أن نستنتج من التقسيم الإدارى رأى الفراعنة في موضع هذه القمة التي كانت بمثابة الفاصل بين الدلتا والصحيد فقد جعل الفراعنة من منقيس حاضرة القسم الإدارى

الاول من اقسام مصر السفلي وأشاروا اليها إنب حج  أي الحائط الايض الذي كان يفصل بين الدلتا والصعيد ويقع عند طرف كل منهما لحماية أهل الصعيد من اغارات أهل الدلتا ومعنى هذا أن ماتلا منفيس شمالا كان معتبرا — في رأى الفراعنة قبيل قيام الحكم الملكي — من الدلتا . وكان قلب منفيس وحيها الرئيسي في موضع قرية ميت رهنية الحالية أي جنوب رأس الدلتا الحالية بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، هذا في غرب النهر وأما في شرقه فقد اعتبر الفراعنة منطقة المعصرة وطوره الحالية قسما اداريا من اقسام شرق الدلتا وأطلقوا عليه اسم  (١) ولاشك ان التقسيم الادارى كان صدي للحالة الطبيعية القائمة في عهده أو قبله ولهذا يمكن القول أن رأس الدلتا كان في بدأ الحكم الملكي المصري أو قبله بقليل في منطقة منفيس وطوره وأن تفرع النيل كان يبدأ من هذا المكان .

فاذا ما انتقلنا الى الدولة الحديثة نجد نصوصا صريحة تعين موضع قبة الدلتا مثل النص الآتى الذى أورده برجسن في قاموسه (٢)

(١) قرأ زينا اسم هذا الاقليم عيثن وقال انه هو اقليم  الذى يشغل المنطقة الجبلية بمحاجر المعصرة وطوره على الشاطي . الايمن للنهر تجاء منفيس وقد ورد ذكره في مقبرة الملك ساحورع من الاسرة الخامسة في أبو صير . وكان يمين الحدود الفاصلة بين منطقتي نفوذ الالهيين حورس وست أي بين مصر العليا ومصر السفلي . وقد اعتبر هذا الاقليم في العصر اليوناني مديرية مستقلة من مديريات الوجه البحرى كتب اسمها بهذا الشكل 

كما ورد اسمها في الصيغ  ،  ،  [انظر Sethe, dans

Bodhardt, Sahure, II, p. 131 et III, pl. 72; Dümichen, Geog. Inscr I, pl. 68, n° 36; Gauthier, Dictionnaire des Noms Géographiques contenus dans Les textes Hiéroglyphiques t. I. p. 78].

(٢) Brugsch, Dictionnaire Géog. de l'Ancienne Egypte, Leipsig 1879 p. 622.

حاي إم خري عحا

أى النيل الذى ينبع عندى خري عحا

وكذلك جاء فى نفس القاموس النص الآتى :

حاي إم خري عحا

ومعنى النص « هذه المنطقة التى هى خرى عحا تدفع النيل نحو مدينة جدجد (بوصير) وتجعل النيل يأتى وتقيسه بالذراع لكي توصله الى كل المصبات »

ولا يمكن أن تفسر هذه النصوص إلا على ان مدينة خرى عحا (مصر العتيقة الحالية) كانت تقع عند قبة الدلتا حيث كان ينبع عندها من النيل الاصلى أحد فروعها الرئيسية وهو فرع دمياط الحالية الذى كانت تقع عليه مدينة جدجد (بوصير جنوب سمندو بقليل).

ثم فى أواخر الحكم المملكي المصري نجد المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) يشير اشارة دقيقة الى موضع قبة الدلتا فى عهده فيقول (١)

Μέχρι μὲν Κερκασώρου πόλιος ῥέει εἰς ἕων ὁ Νεῖλος τὸ δὲ ἀπὸ ταύτης τῆς πόλιος σχίζεται τριφασίας ὁδοῦς, καὶ ἡ μὲν πρὸς ἡῶ τραπέται

ومعنى النص « يجري النيل الآن حتى مدينة كركاسور فى مجرى واحد ولكنه بعد ذلك يتفرع الى ثلاثة فروع »

فأين كانت تقع مدينة كركاسور التى جعلها هيرودوت قبة للدلتا ومكاناً يتفرع النيل عنده الى فروعه الرئيسية ؟

(1) Herodotus, 2. 17.

لم يعين لنا هيروdot موضع هذه المدينة ولكن سترابون الذي كتب بعد  
هيروdot بأربعة قرون يعين لنا موضعها بالدقة فيقول (١)

Ἐντεῦθεν δὴ ὁ Νεῖλος ἐστὶν ὁ ὑπὲρ τοῦ Δέλτα τούτου  
δὲ τὰ μὲν δεξιὰ καλοῦσι Λιβύην ἀναπλέοντι, ὡσπερ καὶ τὰ  
περὶ τὴν Ἀλεξάνδρειαν καὶ τὴν Μαρεώτων, τὰ δ' ἐν ἀριστερᾷ  
Ἀραβίαν· ἢ μὲν οὖν Ἠλίου πόλις ἐν τῇ Ἀραβίᾳ ἐστίν, ἐν δὲ  
τῇ Λιβύῃ Κερκέσουρα πόλις κατὰ τὰς Εὐδόξου κειμένη σκο-  
πὰς... ὁ δὲ νομὸς Λητοπολίτης οὗτος ἀναπλεύσαντι δ' ἐστὶ  
Βαβυλῶν.

ومعنى النص: « يصل الانسان من هليوبوليس الى النيل عند قمة الدلتا. والاجزاء  
الواقعة علي يمين القمة ونحن مبحرون جنوبا تسمى ليبيا وتتبعها الاجزاء التي حول  
الاسكندرية وبحيرة مريوط وأما الاجزاء الواقعة علي اليسار فتسمى (صحراء) العرب.  
وعلي هذا تتبع هليوبوليس (صحراء) العرب. واما مدينة كركاسور الواقعة بالقرب  
من مرصد اودوكس فتتبع ليبيا..... ونحن هنا في مديرية ليتوبوليت واذا اصلنا  
الى البحار جنوبا وصلنا الى بايلون » .

واذا فهذا الكاتب يخبرنا في صدر النص أن المسافر اذا اتجه من هليوبوليس  
الى النيل فانه يصله عند قمة الدلتا. وفي هذا اشارة — ولو انها غير صريحة — الى  
أن قمة الدلتا تقع تجاه هليوبوليس. ثم يخبرنا سترابون في آخر النص بأن مدينة  
كركاسور تقع غرب النهر في مديرية ليتوبوليت — وهي القسم الاداري الثاني من  
اقسام مصر السفلى — وأن هذه المدينة قريبة من مرصد اودوكس أي تجاهه لأن  
هذا المرصد كان يقع شرق النهر جنوب مدينة هليوبوليس. ولما كانت مسلة  
هليوبوليس تقع في الوقت الحالي علي بعد ٣٢٠٠ مترا شمال عرض الطرف الجنوبي  
لجزيرة الوراق كما أن المسلة لم تكن كل شيء في المدينة بل كانت المدينة عظيمة  
الامتداد ولا شك أن جزءاً من امتدادها كان جنوب المسلة ثم بعد ذلك كان

(1) Strabo, 17.30.

المرصد جنوب المدينة فان هذا يرجع وضع المرصد — وبالتالي وضع كر كاسور —  
تجاه الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق الحالية وبهذا يمكن القول أن قبة الدلتا وحقبة  
تفرع النيل كانا قبيل الميلاد عند هذا المكان (١)

ويعطينا سترابون المسافة بين ممفيس وقبة الدلتا فيقول (٢)

Ἐγγὺς δὲ καὶ ἡ Μέμφις αὐτῇ τῷ Βασιλείῳ τῶν Αἰγυ-  
πτίων εἰσι γὰρ ἀπὸ τοῦ Δέλτα τρεῖσχιονον εἰς αὐτήν.

ومعنى النص « ممفيس تقسها عاصمه المملكة المصرية قرية أيضا منها (من بايلون)  
لأن المسافة اليها من الدلتا ثلاث شونيات فقط » (٣)

وكذلك يعين لنا بلينيوس المسافة بين ممفيس وقبة الدلتا فيقول (٤)

unde (Memphis) ad Hammonis oraculum XII dierum est, ad  
scissuram autem Zili, quod appellavimus Delta, XV.

ومعنى النص « من ممفيس الى واحة آمون مسيرة اثني عشر يوما ومنها (ممفيس)  
الى النقطة التي يتفرع عندها النيل ويكون ما سميناه الدلتا مسافة خمسة عشر » (٥)

وأما بطليموس الجغرافي فيذكر ان المسافة بين ممفيس وقبة الدلتا عشر دقائق  
عرضية أي حوالي عشرين كيلو مترا (٦)

(1) Prince Omar Toussoun, *Mémoire sur l'histoire du Nil*, t. I.  
p. 139-140.

(2) Strabo, 17.31.

(٣) الشونين عند سترابون تساوي ٨٦٥٢ مترا

(4) Plinius, *Hist. Nat.*, V, IV.

(٥) لم يذكر بليبي في نصه تمييز هذه الخمسة عشر. وقد فهم مترجم طبعة لوبي هذه الجملة  
خطأ فقال في ترجمته لها أن المسافة من ممفيس الى نقطة تفرع النيل مسيرة خمسة عشر يوما  
وهو تفسير مستحيل وصحته عشر ميلا رومانيا ويستحسن أن يثبت في النص اللاتيني  
علامة الميل الروماني بعد الرقم ١٥ متما لهذا اللبس وكان الميل الروماني في عهد بليبي يساوي  
١٤٨٢ مترا

(٦) الدرجة العرضية عند بطليموس تساوي ١٢٣ كم

وهكذا نرى أن سترابون يعطى للمسافة بين ممفيس ورأس الدلتا ثلاثة شوينات (٢٦ كم تقريبا) وأن بليني يعطى للمسافة بين هاتين النقطتين ١٥ ميلا رومانيا (٢٢ كم تقريبا) وأن بطليموس يعطى لنفس المسافة عشر دقائق عرضية (٢٠ كم تقريبا). وتدل أرقام هؤلاء الكتاب في مجموعها على أن رأس الدلتا تقدم نحو الشمال وأنه كان في القرون الاخيرة قبل الميلاد وفي القرون الاولى بعده شمال القاهرة الحالية أى عند روض الفرج لان المسافة بين ميت رهينة (قلب ممفيس) وبين روض الفرج حوالى ٢٥ كم

وترجح الظروف الطبيعية وضع رأس الدلتا في هذه الفترة عند الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق الحالية<sup>(١)</sup> لان هذه الجزيرة عظيمة المساحة وتدل حالتها على أنها كانت يوما ما متصلة بقلب الدلتا من طرفها الشمالى بحيث تكون شبه جزيرة يتفرع النهر عند طرفها الجنوبي الى فرعيه البلوزى والكانوبى . ويتفق مظهرها في هذه الحالة مع مظهر قمة الدلتا الحالية حيث يتفرع الفرعان دمياط ورشيد عند الطرف الجنوبي لجزيرة الشعير .

فاذا ما انتقلنا الى العصر العربى نجد ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٥٢٥٧ (٨٧١م) يتحدث عن النيل فيقول<sup>(٢)</sup> «وكانت الجنات بحافى النيل من أوله الى آخره فى الجانبين جميعا ما بين اسوان ورشيد ومسح خليج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج النها وخليج سردوس» فهذا

(1) Prince Omar Toussoun, *Mémoire sur les anciennes branches du Nil, Époque Ancienne*, dans *Mémoires présentés à l'Institut d'Égypte*, t. IV, premier fascicule 1922, p. 9 et pl. 4 and 5.

(٢) ابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها ص ٦-٧ طبعة Torrey ليدن سنة ١٩٢٠م

الكاتب يعدد لنا خلجان النيل أى فروعه ويسمى كل فرع اما باسم البلدة التى يخرج عندها من النيل أو باسم البلدة التى ينتهى عندها فى البحر أو فى بحيرة قارون فاما خليجا المنها والقيوم فلا شأن لنا بهما عند بحث قمة الدلتا ويكفى أن نذكر أن ابن عبد الحكم ينسب حفرها الى يوسف عليه السلام . وكذلك لا تقيدها خليج الاسكندرية وسخا ودمياط فى تعيين موضع هذه القمة لأنه سماها باسماء مصباتها ويبقى بعد ذلك خليجا منف وسردوس فأما خليج منف فإنه يشير الى موضع رأس الدلتا القديم عند المدينة السماة بهذا الاسم ومن المرجح أن هذا الفرع لم يكن يجرى فى العصر العربى وإنما كانت آثار مجراه مازالت ظاهرة فى ذلك العصر . ويبقى لدينا بعد ذلك خليج سردوس الذى كان يخرج من النيل الرئيسى عند البلدة السماة بهذا الاسم بمجوار باسوس الحالية وتجاه الطرف الشمالى لشبه جزيرة الوراق حيث يخرج من النيل فى الوقت الحالى ترعة ابو المنجا التى تمثل مجرى فرع سردوس القديم

ومع أن ابن عبد الحكم لم يشر فى هذا النص صراحة الى أن قمة الدلتا كانت تقع عند بلدة سردوس الا ان هذه البلدة كانت أقصى البلدان الواقعة جنوب الدلتا مباشرة التى ذكر هذا الكاتب أن فرعا يخرج من النيل عندها دون أن يكون هناك شك فى جريان هذا الفرع فى عهده . ثم كانت يخرج من النيل شمال هذه البلدة سائر فروعه فى العصر العربى كدمياط وسخا ورشيد ومن هنا يمكن القول أن قمة الدلتا فى القرون الاولى من العصر العربى كانت حول هذه البلدة ومعنى هذا ان كلا الموضعين جنوب جزيرة الوراق وشمالها يعينان قمة الدلتا القديمة وإنما فى عصرين مختلفين الاولى فى القرون الاولى من الميلاذ والثانية فى القرون الاولى من الهجرة .

بعد ذلك نجد كاتباً يسمى ابن سيرايبون (١) — كتب بعد ابن الحكم بسنوات قليلة — يعين موضع قمة الدلتا عند سردوس أيضاً ولكنه يضيف معلومات جديدة إلى ما ذكره ابن عبد الحكم وذلك أنه لفت النظر إلى أن قمة الدلتا تتقدم نحو الشمال باستمرار وسجل لنا ثلاثة مواقع لهذه القمة الأولى عند الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق والثاني عند سردوس أي عند الطرف الشمالي لهذه الجزيرة والثالث عند شطانوف .

ولا يمكن أن يفهم حديث ابن سيرايبون عن القمة الأولى الواقعة عند الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق إلا على أنه تصوير للحالة التي كانت قائمة قبل عهده في العصر اليوناني الروماني وذلك لأن كتاب العرب السابقين لابن سيرايبون مثل ابن عبد الحكم لا يذكران إلا قمة سردوس . وأما حديث ابن سيرايبون عن قمتي سردوس وشطانوف فيمكن أن يفهم علي أنه تصوير صادق للحالة القائمة في عهده أي أن كان للدلتا في ذلك العهد قمتان ، قمة رئيسية عند سردوس وقمة ثانوية أو مشروع قمة عند شطانوف (انظر شكل ٤) .

(١) هو يحيى بن سيرايبون — وقيل يوحنا بن سيرايبون — كان طبيباً وجغرافياً توفي بعد التوكل وقبل البويهيين أي بعد عامي ٢٨٩ ، ٣٣٤ هـ . كتب بالسريانية كتابيه في الطب الكناش الكبير والكناش الصغير وقد نقل إلى العربية . وأما مخطوطه في الجغرافيه فمحفوظ بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢٣٣٧٩ ( محفوظات المتحف البريطاني ج ٢ ص ٦٠٣ ) .

انظر

(a) Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*. 1.227. and 233.

(b) Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Erster Supplementband p. 406. Leiden 1937.

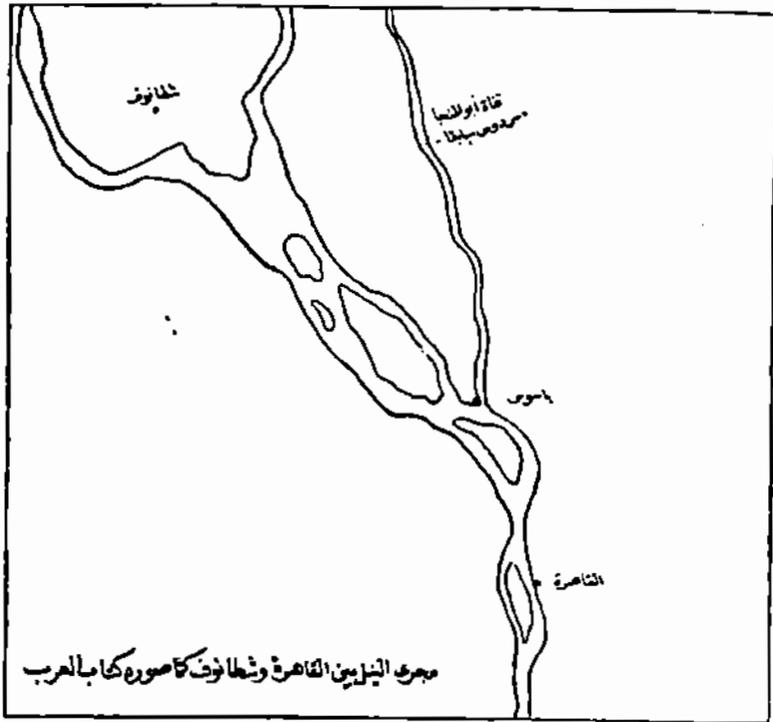
(c) Omar Toussoun; *Mémoire sur l'Histoire du Nil*, t. 1. p. 143.

وانظر أيضاً

(١) الفهرست لابن النديم طبعة أوروبا ص ٢٩٦ وطبعة مصر ص ٤١٢

(ب) طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٨٨٢ م

(ج) كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٢٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ



شكل (٦)

وقد كتب ابن حوقل بعد ابن سيرا يون بقرن واحد فلم يذكر لنا الا قمة واحدة هي شطانوف فهل معني هذا أنه في الفترة الفاصلة بين الكاتبين تضامل شأن قمة سردوس وأصبحت شطانوف الواقعة في شمالها هي القمة الرئيسية للدلتا ؟  
أما أن قمة سردوس تضامل شأنها فهذا ثابت من أقوال عدة كتاب فينما يصف ابن سيرا يون فرع سردوس الخارج أمام هذه القمة بالعظم والضحامة بمجد القلقشندی يخبرنا أن فرع سردوس تضامل شأنه — نتيجة لتراجع الدلتا دون شك — وأن قناة أبو المنجا حفرت لكي تحمل مجله وفي ذلك يقول القلقشندی أن ابن الاثير قال في كتابه عجائب المخلوقات أن خليج السردوس أو السردوسي كان أحد زهات الدنيا يسار فيه بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية فقلت —

القلقشندي - « أما الآن فقد ذهب ذلك وبطل الخليج وعوض عنه ببحر أبي  
للنجاء » (١)

وبناء على المعلومات المستمدة من كتاب العرب تكون قه سردوس قد تضاءل  
شأنها ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري (آخر العاشر الميلادي) وتضاءل تبعاً  
لذلك شأن فرع سردوس الذي كان يروي جزءاً هاماً من شرق الدلتا مما الجأ  
السكان إلى المطالبة بمحفرة قناة تحمل هذا الفرع وتسير في مجراه فم لهم ما طلبوا  
سنة ٥٠٦ هـ (١١١٣ م) (٢)

وأما أن قه شطونوف أصبحت هي القمه الرئيسية للدلتا منذ ذلك الوقت فهذا  
ثابت من قول الادريسي والقلقشندي . فقد حدثنا الادريسي المتوفي سنة ٥٤٨ هـ  
(١١٥٣ م) فقال (٣) « وفي أعلا شطوف (شطونوف) ينقسم النيل على قسمين فينزلان  
إلى أسفل ويتصلان بالبحر » وكذلك حدثنا القلقشندي عن قه الدلتا وتفرع النيل  
فقال (٤) « ثم يأخذ النيل في الشمال حتى ينتهي إلى مدينه القسطاط ويمتد في جبه  
الشمال أيضاً حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شطونوف (٥) من قرى مصر من  
عمل منوف (٦) فيفترق بفترتين فرقه شرقيه وفرقه غريبه ..... »

(١) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا جزء ٣ ص ٣٠٠ طبعة دارالكتب بالقاهرة  
سنة ١٩٣٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا جزء ٣ ص ٣٠١-٣٠٢ طبعة دارالكتب  
بالتاهرة سنة ١٩٣٨

وانظر أيضاً القريري خطط جزء ١ ص ١١٣ - ١١٥ طبعة مطبعة النيل بالقاهرة سنة  
١٩٢٤ هـ

(٣) الادريس . نرمة المشاق في اختراق الآفاق ص ١٤٨-١٤٩ طبعة ليدز سنة ١٨٦٤

(٤) القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٨٧-٢٨٨

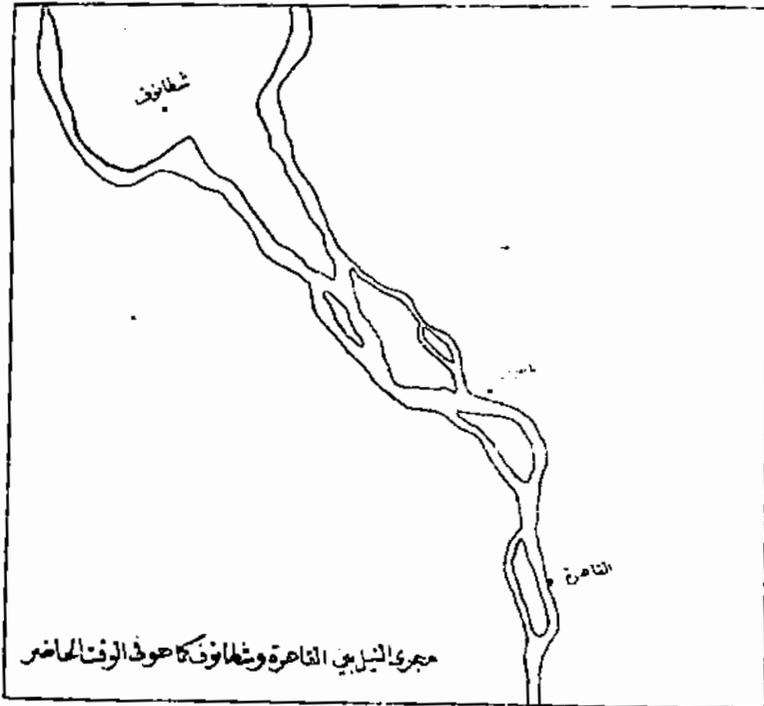
(٥) شطونوف كما ذكر ياقوت وشطونوف كما ذكر صاحب القاموس

(٦) أي في مديرية النوبية

وهكذا نرى كتاب العرب بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين ( العاشر والخامس عشر الميلاديين) مجمعين على أن قمة الدلتا كانت عند شطونف الواقع شمال القمة الحالية بحوالى عشرة كيلومترات . ومعنى هذا أنها تراجعت نحو الجنوب بهذا المقدار منذ القرن الخامس عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر

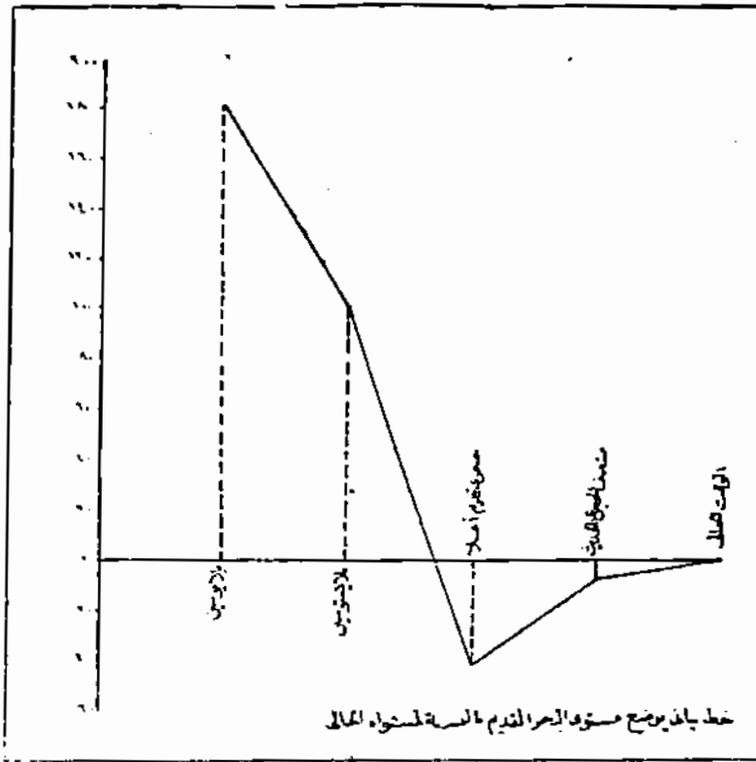
التفسير الطبيعي لتراجع قمة الدلتا:

تبين الخريطة الموضحة في شكل (٥) مجرى نهر النيل بين القاهرة وشطونف كما هو في الوقت الحاضر وفيها تظهر جزيرة الوراق وجزيرة القيراطين ثم شبه جزيرة



شكل (٥)

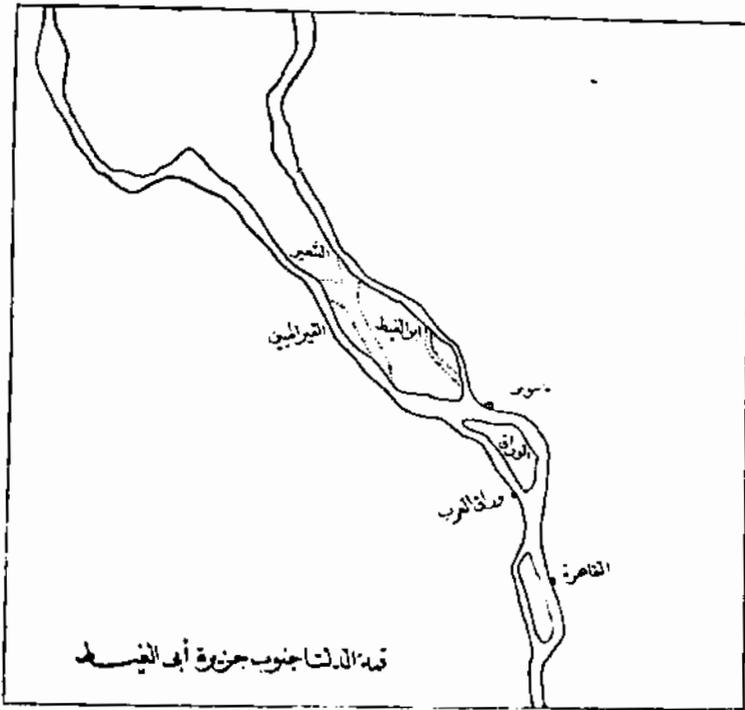
الشعير . كما تبين الخريطة الموضحة في شكل (٦) هذا الجزء من مجرى النيل كما صورته كتاب العرب وفيه تظهر قمة الدلتا عند شطونف . وأما الجزء



شكل (٣)

الذى يلي هذه القرية جنوباً فلم يكن في العصر العربي متصلاً بالدلتا كما هو في الوقت الحاضر وأما كان جزيرة يتفرع النيل عند طرفها الشمالي إلى فرعيه الشرقي والغربي علي نحو ما حدثنا الإدريس والقلقشندي ثم بسبب ارساب النهر ردم الفاصل المائمي بين هذه الجزيرة وبين قبة الدلتا فتحولت الجزيرة إلى شبه جزيرة وأصبحت جزءاً من الدلتا ونتيجة لهذا تراجع القبة نحو الجنوب وأصبح تفرع النهر جنوب شبه جزيرة شطنوف وشمال جزيرة الشعير كما هو مبين في شكل (٧)

ومما يقطع بصحة هذا التفسير تكرر هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة فالصورات الحديثة التي تخرجها مصلحة المساحة المصرية أصبحت تطلق منذ سنة ١٩٢٥



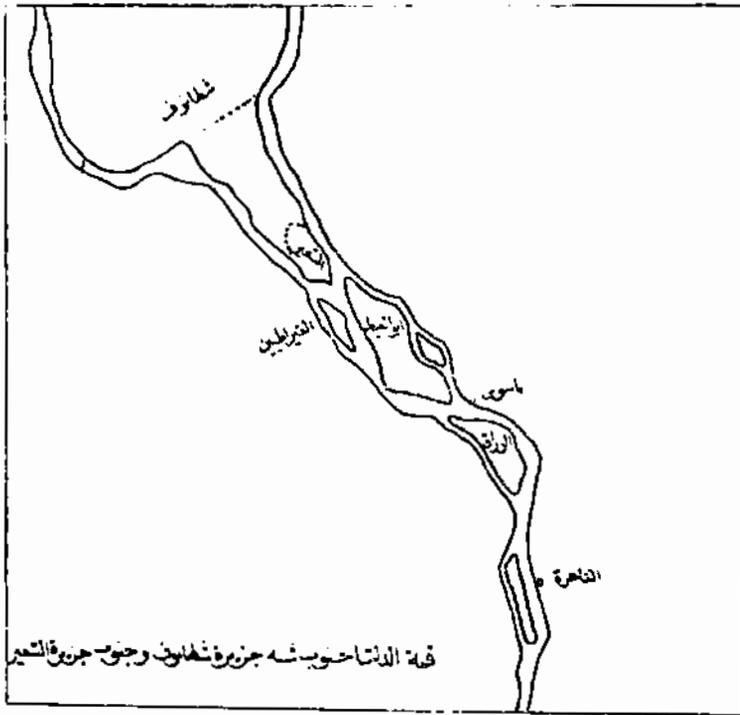
شكل (٨)

علي جزيرة الشعير اسم شبه جزيرة الشعير (١) وذلك لان الفاصل المائي الذي كان بينها وبين شبه جزيرة شطنوف مليء بالرواسب فتراجعت قبة الدلتا ونقطه تفرع النهر الى جنوب هذه الجزيرة التي تحولت الى شبه جزيرة وأصبحت جزءا متصلا بالدلتا الاصلية .

ونحن نتنظر علي هذا القياس أنه بعد عدد من السنين — لا نستطيع تقديره — سيمتليء الفاصل المائي الذي بين شبه جزيرة الشعير وبين جزيرة القيراطين والذي

(١) انظر الاوحة  $\frac{80}{6}$  مقياس  $\frac{1}{100000}$  وهي الاوحة المسماة «القاهرة» التي أصدرتها مصلحة المساحة المصرية سنة ١٩٤٠ بناء على عملية مسح الارض سنة ١٩٢٥

ينها وبين جزيرة أبو الغيط وبذلك تتحول إحدى هذين الجزيرتين إلى شبه جزيرة وتصبح جزءا من الدلتا الأصلية وتصبح قمة الدلتا ونقطة تفرع النهر في جنوبها كما هو مبين في شكل (٨) وبذلك تعود قمة الدلتا إلى شمال جزيرة الوراق أي أنها تعود لموضعها الذي كانت فيه في القرون الأولى من الهجرة عند سردوس (تجاه باسوس) كما حدثنا بذلك ابن عبد الحكم وابن سيرا يون.



شكل (٧) ■

بل نتوقع أيضا أن يمتليء الفاصل المائي بين جزيرة أبو الغيط بعد تحولها إلى شبه جزيرة وبين جزيرة الوراق وبذلك تعود قمة الدلتا إلى موضعها جنوب جزيرة الوراق وهو الموضع الذي حدثنا عنه هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد.

ولا تسمح طبيعه النهر في الوقت الحاضر جنوب جزيرة الوراق بتوقع تراجع قه الدلتا بعد ذلك لان المسافه طويلة بين الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق وبين الطرف الشمالي لجزيرة الزمالك ثم ان مجرى النهر في هذه المسافه ضيق ومستقيم . وهذان العاملان — ضيق المجرى واستقامته — يجعلان التيار سريعاً لا يسمح بالارساب ولا بتكوين الجزر يضاف الى هذا أن الأعمال الصناعيه الحديثه من جسور وقناطر وخزانات قللت من كيه الرواسب التي يحملها النهر .

وخلاصه الرأي في قه الدلتا أنها مرت في دورين :

الدور الاول : دور تقدم نحو الشمال بدأ منذ تكونها في منطقه ممفيس في أوائل عصر البليستوسين الجيولوجي وقبل العصر البشري المسمى بالحجر القديم الاسفل . وقد استمر هذا التقدم خلال العصور البشريه الحجريه والتاريخيه حتى انتهى في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) اذ اصبحت قه الدلتا عند شطونف .

الدور الثاني : دور تراجع نحو الجنوب بدأ من القرن الخامس عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر اذ اصبحت قه الدلتا جنوب شبه جزيرة الشعير وما زال هذا الدور مستمراً .